

Daur al-Tarjamah fi Hiwār al-Šaqāfāt Tarjamah al-Ajnās al-Adabiyyah Anmużajan

Fouad Larhizer

Sidi Mohamed Ben Abdellah University
fouad.larhizer@usmba.ac.ma

Received : Mei 04, 2020
Accepted : June 14, 2020

Revised : June 11, 2020
Published : June 30, 2020

This article aims at describing the role of translation context of inter-cultural dialogues by tracing it from the translations of literary works. Translation is referred to as transmitting something, i.e. concepts, notions, meanings, from a language to other language. *Thus*, translating literary works does not only mean changing the language of the works but also transferring the cultures of the society whose language is used in works to other societies. This is because literary works come from, and reflect the cultures of their societies. So, the translations of literary works can be regarded as dialogues among different cultures. Apart from difficulties, translation of literary works with varieties of genres has shown its significant role in creating dialogues among different cultures and civilizations. The process of influencing and being-influenced, particularly between Western literature and Arabic literature has triggered the rise and the development of new genres and features of literature which were absent in any one side. It is here that the literary translation works to transfer moods, mentalities, genius, and models of relationships between different emotions and thoughts.

Keywords: the Role of Translation, Inter-cultural Dialogue, Literary Translation

مقدمة

إن الحديث عن الترجمة يقتضي بالضرورة العودة إلى جذورها اللغوية، فنجد في لسان العرب لابن منظور أن الترجمة مشتقة من فعل " ترجم "، فنقول " «ترجم الترجمان، والترجمان " اللسان المفسر للسان، وفي حديث هرقل : قال لترجمانه، الترجمان بالضم والفتح ، وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى،¹ من هنا يبدو أن الترجمة تعني التنقل والبيان والشرح والتوضيح، إنها « نقل نص ما من لغة الأصل إلى نص آخر في لغة الهدف، وتعني أيضا التعبير بصيغة أخرى داخل

¹ ابن منظور، لسان العرب، ٣، م ٢ (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣)، ٢١٩.

نفس اللغة، أو التحويل من شكل إلى آخر...² بل إنها « إثبات علاقة أو إيجادها بين منطلق وهدف ، أو بين معطى ومبنى.³

لم تكن الترجمة مجرد وضع مقابل لغوي للكلمات والألفاظ، بل إنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة إلى درجة أنه «حين نقوم بعملية الترجمة، فإننا لا نترجم من لغة إلى لغة أخرى فقط، بل من ثقافة إلى أخرى، وذلك للارتباط العضوي الذي يجمع بين اللغة والثقافة، إن عملية الترجمة على هذا الأساس عملية ثقافية لا تنحصر فقط في مجال الوحدات اللغوية، بل تتعدى ذلك لتطول مجموعة من التصورات الاجتماعية وطرق التفكير التي تحملها اللغة وتعبّر عنها.⁴

تفتح الترجمة مجال الثقاف وتشرع أبواب الحوار، وتمد جسور التواصل والتحاو والتلاقي بين الثقافات والحضارات والشعوب المختلفة والمتباينة، ف«بوصفها قناة تسهل الوصول إلى المعلومة واكتساب المعرفة بلغات مختلفة، تسمح بخلق اهتمام مشترك وموحد وتذليل العقبات التي تحول دون التفاعل بين أطراف منتمية إلى عوالم ثقافية متباعدة»⁵ من جهة، ومن جهة أخرى «تشكل نمطا تواصليا بين الأشخاص واللغات يسهم في تحقيق معرفة وتبادل حقيقيين بين ثقافات العالم جاعلة إياها قابلة للفهم وسهلة للاستيعاب».⁶

من هنا كانت الترجمة عملية تواصلية بامتياز، مادامت تفتح جسور التواصل والتفاهم والتعاون في جميع الميادين ومختلف المجالات، فهي «البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر أو يقتحم

² الجلاي الكدية، "الترجمة بين التأويل والتلقي"، الترجمة والتأويل، منشورات كلية الآداب، ١، عدد ١ (١٩٩٥): ٥١.

³ الكدية، 51.

⁴ إيريك فروم، حوار الثقافات والنزعة الإنسانية، ترجمة حميد لشهب، Top Edition، ط. ١، ٢٠٠٧، 120.

⁵ ماتيو غبدير، "التواصل متعدد اللغات"، ترجمة مصطفى تجيني، المجلة المغربية لدراسات الترجمة، إصدار مركز الدراسات والبحوث الإنسانية

والاجتماعية بوجدة السنة الأولى، عدد ١ (ربيع ٢٠١٣): ١٤٤.

⁶ غبدير، 144.

الآخر الذات»⁷ بل «إنها استراتيجية لتوليد الفوارق وإقحام الآخر في الذات، إنها ما يفتح النص، ما يفتح اللغة على الخارج»⁸.

إن الترجمة هي التي تفك أسر النص وتجعله يتكلم لغة غير لغة، ويغادر موطنه الأصلي ليجد نفسه خارج الزمان والمكان ف«الترجمة هي التي تنفخ الحياة في النص وتنقله من ثقافة إلى أخرى، والنص لا يحيا إلا أنه قابل للترجمة في الوقت ذاته، فإذا كان في الإمكان ترجمة نص ما ترجمة نهائية، فإنه يموت كنص وكتابة»⁹.

فكم من كاتب نال الشهرة العالمية بسبب الإقبال الذي أحرزته كتاباته بواسطة الترجمة، في المقابل نجد كم من كاتب لم تنل كتاباته حقها من الانتشار، لأنها لم تترجم، وظلت رهينة قراء معينين، فالترجمة بهذا المعنى تخلق حوارا مع الإبداع عندما تنقله من لغة المصدر إلى لغة الهدف، إنها بحق «عملية حوار بين المؤلف الذي أنتج النص الأصلي والمترجم الذي يعيد إنتاجه على الرغم من بعد الشقة الزمانية والمكانية بينهما»¹⁰.

فهي - إذا - ليست مجرد حوار بين لغتين، إنها حوار بين ثقافتين مختلفتين، وهذا الحوار يضطلع به كل من المؤلف والمترجم، بمعنى أن الحوار يقوم بين من أنتج النص المصدر، وبين من يعيد إنتاجه في النص الهدف، مما ينتج عنه تغير وتغيير وتحويل في مفاهيم اللغة الهدف، بالإضافة إلى استيعابها لمفاهيم جديدة.¹¹

⁷ علي القاسمي، "أثر الترجمة في معرفة الآخر وإدراك الذات"، مجلة ترميمات السنة الأولى، عدد ٢ (مايو/يوليو ٢٠٠٦): 81.

⁸ عبد السلام بنعيد العالي، "في الترجمة"، سلسلة شعاع، عدد ٤٠ (١٩٩٨): 22.

⁹ العالي، 21.

¹⁰ القاسمي، "أثر الترجمة في معرفة الآخر وإدراك الذات"، 84.

¹¹ القاسمي، 84.

وهذا ما يشير إليه بالضبط عبد السلام بعبد العالي، إذ يرى أن «الترجمة نسخ وإلغاء واستمرار، إنها نقل للنصوص وتحويل لها، وهي تحويل للغتين معا، اللغة المترجمة واللغة المترجمة»¹².

غير أن الأمر قد يختلف تماما «حين نخرج عن مفهوم الترجمة المحدود المتصل بنقل نص من لغة إلى أخرى، ونفتح أفق الترجمة بمعناه الواسع، فإن أي معلومة حول أي ثقافة أو شعب تنتقل إلى ثقافة أخرى تدخل ضمن إطار الترجمة»¹³ ولنا أن نستحضر في هذا الصدد كل من "هايدغر" ومن بعده "دريدا" الذي يقترح مفهوم التحويل *Transparent* على اعتبار «أن الترجمة عملية تحويل، وكثير من المؤلفات تكتسب أهمية أكبر حين يتم تحويلها إلى لغة أخرى، حيث نخرج بخصائص مختلفة عما يكون عليه النص بلغته الأصلية»¹⁴.

لا تكتفي الترجمة بنقل النصوص وتحويلها، وإنما تخلق أيضا دعائم وأسس التلاقي، والتواصل بين البشر والثقافات رغم اختلاف اللغات، فقد أكدت "كريستين دوريو" في معرض الحوار الذي دار بينها وبين حسن حمزة أن «الترجمة فهم وإفهام، ولا بد في سبيل الفهم والإفهام، وإنتاج المعنى من عملية نقل بين اللغات، ولكن عملية النقل هذه لا تكفي فلا بد من أن يكون إلى جانبها عملية نقل بين الثقافات أيضا، في إطار احترام قواعد التواصل وشروطه»¹⁵ والتي سنتطرق إليها بنوع من التفصيل عند تناول المبحث المتعلق بالتواصل بالدرس والتحليل.

يتضح جليا أن هدف الترجمة هو فهم مقاصد القول في اللغة المصدر لإفهامه للمتلقي في اللغة الهدف، فالترجمة بهذا المعنى هي «إعادة قراءة تدخل جده على النص المترجم، ولعل قراءة

¹² العالي، "في الترجمة"، 48.

¹³ عبد العزيز السبيل، الثقافات عبر الترجمة، القصة القصيرة نموذجا ضمن علامات في النقد، م 12، 48 (جدة: النادي الثقافي، ٢٠٠٣)، 477.

¹⁴ السبيل، 12:477.

¹⁵ حسن حمزة، "الترجمة فهم وإفهام ونقل بين الثقافات"، مجلة العربية والترجمة ٥ (خريف ٢٠١٠ - شتاء ٢٠١١): 222.

النص أولاً في لغته الأصلية تمكن قارئ ترجمته من وضع يده على تلك الأبعاد، إن الوساطة تقدم الوردة بأوراقها اليافعة، الوردة في بكارتها، وفي شداها الأصيل».¹⁶

تضمن وساطة الترجمة بقاء النصوص واستمرارها، بل وضمان خلودها، فالنص يحيا في لغة أو لغات أخرى، ذلك أن «أرسطو مثلاً تكلم يونانيا ثم كلف عن الحديث بلغته ليتكلم سوريانيا، فغريباً، فلاتينياً، فألمانيا، وربما يتحدث اليوم أنجليزيا»،¹⁷ وبهذا أضحت الترجمة «أحد المعابر الأولى من حالة الثبات إلى حالة الحركة من حالة الإخلاص للنموذج الذاتي إلى خيانة هذا النموذج، من حالة الغفوة إلى حالة الصحوة، من حالة التكرار إلى حالة التجاوز، إنها فعل الخروج، ذلك أنها إدراك عميق بلا جدوى للاكتفاء الذاتي من الأحادية إلى التعددية».¹⁸

صفوة القول إن الترجمة لا تعني فقط نقل معنى نص ما من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، بل إنها فعل معرفي وثقافي وفكري وحضاري مبني أساساً على خلق التقارب والتعايش بين الثقافات، إنها قيمة من قيم التعايش والتواصل والإفادة والاستفادة ما دامت تدافع عن ثقافة الانفتاح والتعدد والتنوع ضدًا على ثقافة الانغلاق والتفوق والتمركز حول الذات، إذ «لم تعد الترجمة مجرد نقل نص أصلي من لغة إلى لغة أخرى، بل يمكن للمترجم أن يستفيد من استراتيجيات القراءة والتأويل التي يقترحها "ياوس" و "إيزر" - مثلاً - حيث يصبح المترجم مثل متلقي "ياوس" وقارئ "إيزر" قارئاً دينامياً له دور إيجابي يأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين الماضي والحاضر، أو بين النص الأصلي وقراءاته المتعددة، ومكونات النص الثابتة والمتغيرة، معبراً عن موقفه من منظوره التاريخي الخاص»¹⁹،

¹⁶ محمد عزيز الحياي، الترجمة والتلاقح الثقافي: أبحاث وأعلام، ٦ (تمارة: بيت آل ممد عزيز الحياي للثقافة والنشر، ١٩٩٨)، ٢٠.

¹⁷ العالي، "في الترجمة"، 19.

¹⁸ بول شاؤول، "الترجمة من التفاعل إلى الفعل الثقافي"، في الترجمة والتفاعل الثقافي، سلسلة أبحاث المؤتمرات والمجلس الأعلى للثقافة (القاهرة):

حلقة بحثية، ٢٠٠٤، ١٨٠.

¹⁹ الكدية، "الترجمة بين التأويل والتلقي"، 57-58.

نتائج البحث ومناقشتها

أهمية الترجمة الأدبية الإبداعية

تعتبر ترجمة النصوص الأدبية مساهمة ثمينة في خلق التواصل بين اللغات والثقافات والحضارات المختلفة، فهي تتيح إمكانية تبادل الأفكار وبناء الجسور بين الثقافات، غير أن الترجمة الأدبية تصاحبها صعوبات كثيرة، لأنها ليست مجرد نقل ألفاظ ومفاهيم ومصطلحات، إنما هي نقل للمشاعر والعواطف والأفكار، لذلك يفترض في المترجم الأدبي أن يكون مبدعا يعشق الأدب ويحب الكتابة ويمتلك حسا فنيا، وذوقا رفيعا، وعارفا بالسياق العام للنص المراد ترجمته حتى يتمكن من خلق التفاعل وضبط التوازن بين النص وترجمته، كي لا يضيع معنى النص، وأن يسمح للنص قيد الترجمة بأن يحيا ويبقى ويستمر...

تعد الترجمة -بحق- اللحمة التي تربط وتصل بين الأقوام المختلفة والشعوب المتباينة والمتباعدة جغرافيا وثقافيا، إنها تربط بين خيوط السداة في نسيج الحضارة الإنسانية، وتساهم «بلا شك في نشر كنوز الثقافة العالمية»،²⁰ ففي نشر هذه الكنوز استمرار وبقاء لها. فمن هنا استمرار نصوص وموت أخرى، لأن «النص لا يكون نصا إلا إذا أفصح عن رغبته في الخروج من ذاته وعن لغته الأصلية، أما إذا كف عن ذلك، واكتفى بذاته واقتصر عن لغته، فإنه يموت ويتوقف عن التحول والتجديد والحياة».²¹

تسمح الترجمة -إذا- باستمرار النصوص وبقائها، وتضمن تحولها وانتقالها عبر الزمان والمكان، فكثيرة هي الكتب التي غزت العالم وتجاوزت الحدود وعرفت في كل أطراف المعمور، وألم يقل غوته أن «كل أدب يعكس حاجته مرحليا في الالتفات إلى الخارج».²²

²⁰ مرتضى غازي سيد معروف، ترجمة الإبداع وإشكالية اللغة الوسطية: علامات في النقد، م ١٢، ٤٨ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣)، 219.

²¹ العالي، "في الترجمة"، 68.

²² سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي: دراسة مقارنة، ١ (الدار البيضاء، ١٩٨٦)، 119.

لذا، كانت الترجمة وما تزال نافذة لانتقال النصوص ووسيلة مهمة وأساسية في عملية التأثير والتأثر والأخذ والعطاء، فكان «الاهتمام بالإبداع مؤشرا حضاريا لتقدم الأمم، لا لأنه يشمل النتاجات الإبداعية لتفاعل "الفرد والبيئة" فحسب، بل إنه يشمل "النتاجات الإبداعية" لتفاعل هذا الفرد مع من حوله»،²³ إذ العزلة تعيق التواصل، وتقف حجر عثرة في طريق رحلة كنوز المعرفة لمعانقة الكونية، ومن ثمة «فإن تواصل المترجم مع الكاتب يؤكد أن الترجمة ليست نقلا من لغة إلى أخرى وحسب، فالنقل هذا بذاته وجهها السطحي، بل أيضا نقل النص المترجم من بيئة إلى غيرها، من دنيا إلى دنيا، من رؤيا للعالم إلى رؤية قد تختلف جذريا عن الأولى، وإذا شئتم من تاريخ إلى تاريخ، فالترجمة كأي فعل ثقافي تستدعي الإنسان كله».²⁴ وهذا ما تؤكدُه المقاربة الأنثربولوجية المعرفية، حيث ترى أن مفهوم الترجمة الأدبية «نظام معرفي رمزي ثقافي تأويلي يسهم في تنمية الوعي الثقافي الحواري الذي يواجه ثقافات الصراع والصدام والتمركز الإثني والنهيات العدمية... وليست مجرد نقل نصي من لغة إلى أخرى»،²⁵ بل إن الترجمة هي «ما يضمن حياة النصوص وما يشكل تاريخها، أي ما يضمن بقاءها، أي نموها وتكاثرها، إذا سلمنا بذلك غدا فعل الترجمة في حد ذاته إبداعا، ولم يعد مجرد إعداد المادة الأولية لإعمال الفكر. بهذا سيغدو المترجم مؤلفا مثلما أن المؤلف المعاصر مترجم بالضرورة».²⁶

كما انتبه مترجمو ما بعد الكولونيالية إلى أن الترجمة كأداة أنثربولوجية معرفية تثير المتخيل الإنساني وتنمي الرأس مال المعرفي للجماعات البشرية، وتولد أشكالاً معرفية متعددة لم تألفها هذه الجماعات، كما تمرر أنساقاً تصورية مجهولة الأصل والنسب وتشوش ذهنيات ووجدان أصحاب

²³ إيمان سعيد تونيسي، الترجمة المسرحية (واقعيها وأفاقها): علامات في النقد، م ١٢، ٤٨ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣)، 428.

²⁴ جان ألكسان، "الترجمة الأدبية والتنمية الثقافية"، مجلة الوحدة للمجلس القومي للثقافة العربية ٦، عدد ٦١-٦٢ (١٩٨٩): 98.

²⁵ شراف شناف، "الترجمة الأدبية وسلطة الأنساق الثقافية: قراءة أنثربولوجية معرفية"، مجلة العربية والترجمة للمنظمة العربية للترجمة ٦، عدد

٢٠ (شتاء ٢٠١٥): 194.

²⁶ العالي، "في الترجمة"، عبد الفتاح كيليطو، ضيافة الغريب، ترجمة كمال التومي، ط ١ (دار توبقال للنشر، ٢٠١٥)، 51.

الثقافات المنقول إليها،²⁷ ما دام أن هناك -كما يقول- "إدوين غينتسلر" «توأم صامت مصاحب لكل فكر ولكل كتابة».²⁸

إن الذي يفك العزلة -إذا- عن النص المكتوب هو المساهمة الفعالة لكل من القارئ والمترجم على حد سواء، «فالأول، يمنحه فرصة البقاء والاستمرار وتحدي الزمن ضمن حدود قرائه المفترضين الأصليين، لأن نصا بدون قراء يعد بمثابة نص غير موجود، والثاني، يمنحه الانتشار وتحدي الحدود (الجغرافية/اللغوية/الثقافية/الحضارية/وغيرها)».²⁹

وهذا ما يعطي للنصوص فرصة معانقة الحياة من جديد، لكن في سياق يختلف عن السياق الحضاري الذي وجدت فيه لأول مرة، لذا فإن «علماء اللغة وخبراء الترجمة يوصون بإعادة ترجمة الأعمال الأدبية الخالدة بين حقبة زمنية وأخرى، لأن اللغة في تحول وتغير وتطور باستمرار، ففي كل يوم تشيخ كلمات وتولد كلمات، في كل يوم تكتسب بعض الألفاظ معاني جديدة، أو تستعمل في تعبيرات أو سياقات مختلفة عن استعمالها السابقة، أو تتلون بظلال من الدلالات المركزية والهامشية، أو بالاستعمالات الحقيقية والمجازية، فتسمو في عيون الناطقين باللغة وتتدنى قيمتها في نفوسهم».³⁰

من هنا نبعت الرغبة في الابتعاد عن المترجمات الحرفية التي قد تغتال النصوص ولن تسمح لها بالبقاء والانتقال والخلود. لذا، «فإن الدعوة إلى الملاءمة بين عبقریات وثقافات اللغات في فعل الترجمة يمكن أن تكون لها نتائج إيجابية سواء بالنسبة للغة المنقول عنها أم بالنسبة للغة المنقول إليها، لأن اللغة الأولى تحقق امتدادها في اللغة الثانية، واللغة الثانية تغني بالإمكانات التركيبية

²⁷ شناف، "الترجمة الأدبية وسلطة الأنساق الثقافية: قراءة أنثروبولوجية معرفية"، 195.

²⁸ إدوين غينتسلر، في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، ط. ١ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧)، 416.

²⁹ عبد العالي بوطيب، "الترجمة الأدبية بين الإبداع والاتباع"، مجلة دفاتر ثقافية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهرز-فاس، عدد ٢ (٢٠١٣):

³⁰ علي القاسمي، "إعادة ترجمة الأعمال الأدبية"، في ممارسة الترجمة، إنشاء محمد جدير (دار الفرق، ٢٠١٣)، 126.

والتصويرية والثقافية للغة الأولى»،³¹ بالإضافة إلى أنه ينبغي قبل كل شيء مراعاة السياق الثقافي العام للنص لا لشيء، إلا لأن «النظر إلى النص الأصلي في سياقه الثقافي العام، سيمكن على الدوام من معرفة خلفياته اللغوية والثقافية والحضارية، وسيجعل المترجم ينظر أيضا إلى النص كبنية متفاعلة العناصر».³² لذلك يجب على المترجم -يقول الدكتور حميد لحمداني- أن يمتلك سلطة إبداعية تقديرية تجعله يختار أنسب الاختيارات التي يتصور أنها قريبة من النص الأصلي، مشيرا إلى أنه ينبغي أن تظهر اللغة المنقول إليها وكأنها محتفظة بصفائها من تشويش بنيات اللغات الأجنبية،³³ مشددا على ضرورة تفادي السقوط في الحرفية مع عدم الابتعاد عن النص كامل الابتعاد، ممثلا لمحاولة تقريب هذا التفاعل بين الترجمة والنص المترجم قائلا:

«الترجمة الأدبية كالفراشة التي تحوم حول مصباح مضيء، المصباح هو النص المترجم (=النص المنطلق)، والفراشة هي النص الهدف، فإذا حاولت فراشة الترجمة أن تقترب من المصباح لتلتحم به احترقت... الترجمة الحرفية هي جهد فقد حواسه بسبب الاقتراب الشديد من المصباح».³⁴ لكن متى تكون الترجمة قادرة على خلق امتداد طبيعي للنص الأول في لغة ثانية؟ - يتساءل الدكتور حميد لحمداني- فيجيب: «عندما تستطيع الفراشة أن تحوم حول المصباح دون أن تحترق فيه، ودون أن تلامسه فتفقد حواسها، أي عندما تحوم حوله في حرية مستضيئة بنوره، طليقة في فضائه القريب، ومن جهة أخرى عندما تبتعد فراشة الترجمة عن مجال ضوء المصباح، فمعنى ذلك أنها خرجت إلى سديمها الخاص، ولم تعد لها أية علاقة مع النص، هنا نكون أمام نص آخر ليس من الضرورة إدراجه في مجال الترجمة».³⁵

³¹ حميد لحمداني، الترجمة الأدبية التحليلية: ترجمة شعر بودلير نموذجا، ٢ (وحدة النقد الأدبي الحديث والمعاصر، ٢٠٠٥)، 9.

³² لحمداني، 9.

³³ لحمداني، 12-13.

³⁴ لحمداني، 83-84.

³⁵ لحمداني، 84.

يشدد حميد لحمداني -إذا- على ضرورة الحرص على ضبط المسافة جيدا بين النص المترجم والنص الهدف، من أجل تفادي إضاعة المعنى؛ فالاقتراب أكثر من النص تهديد لمعنى النص وسياقه، والابتعاد الكامل هو بمثابة قطع للعلاقة مع النص، وإنما ينبغي للمترجم أن يحرص على ضبط التوازن والتفاعل بين النصين المصدر والهدف حتى تصل ترجمته إلى درجة الإبداعية، بل والأكثر من هذا يلزم أن يكون المترجم الأدبي، وخاصة فيما يتعلق بترجمة الشعر «قادرا على استيعاب أنواع الخرق والعدول وتكسير اللغة، وبعد ذلك عليه أن يحاول البحث عن صيغ نحوية تركيبية جديدة تكسر المعيار حتى في اللغة التي ينقل إليها النص، ومعنى هذا أن عليه أن يكون ذا مؤهلات شعرية، وقدرة كافية على المساهمة المباشرة في الكتابة النحوية الشعرية رغم أن مهمته الأولى هي ترجمة نص من لغة إلى أخرى».³⁶

من هنا تبدوا صعوبة ترجمة النصوص الإبداعية، فهي تحتاج إلى مترجم مبدع قادر على قهر المسافة بين النص المصدر وترجمته، لأن «النص الإبداعي كما هو معروف ظاهرة جمالية قائمة بذاتها، وعمل إبداعي متكامل، وتوليفة لا يمكن فصل خيط من خيوط نسيجها».³⁷

لهذا السبب بالذات تحظى النصوص التي تمتاز بالإبداعية والتميز بقصب السبق في الانتقال والهجرة عبر وساطة الترجمة إلى لغة بل لغات وثقافات أخرى دون أي جواز، ف«النصوص لا تنتظر الترجمة كي تجبرها على الخروج والانفصال عن الذات، بل إنها تحيا نوعا من الحنين الدائم إلى الاختلاف والغربة، كل نص يتمتع بما هو كذلك بالرغبة في الاستنبات في تربة غير تربته، وتغيير موطنه وتبديل لغته، وربما كانت هاته خاصية الأعمال الكبرى بما هي كذلك، إنها النصوص التي تنتقل

³⁶ لحمداني، 12.

³⁷ سمير عبد الحميد إبراهيم، قضايا ترجمة النص الإبداع: ضمن علامات في النقد، م ١٢، ٤٨ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، د.ت)، 722.

بين الثقافات، النصوص التي تكشف فيها اللغة عن تطلعها للخروج عن ذاتها، ونستطيع أن نقول إن الترجمة تستثمر هاته الحركية وهذا التطلع»³⁸.

دور الترجمة في التواصل الثقافي

لقد كانت الترجمة وما تزال ضرورية لكل إقلاع حضاري، إذ الأمم لا تبدأ من فراغ، بل من الاستفادة من المترجمات التي ليست سوى تجارب السابقين ومعاريفهم، حفظت في كتب ومجلدات، تتوق باستمرار إلى مغادرة لغة غير لغتها الأصل، وقارئ غير قارئها المعتاد، ومكان غير مكانها الأول، وبذلك أضحى «إشراقاً أعتق الفكر والإبداع من قيود اللغة والمكان، لينطلقا سائحين في سماوات الأرض الإنسانية فمطارا أمطاراً من ذخائرها هنا وهناك، فتتأثر الأرض وتستجيب ربيعاً إنسانياً، وروده فكر جديد وعبيره إبداع متجدد»³⁹.

أولم يترجم اليونان كنوز الحضارات القديمة من تنجيم وفن ورياضيات عن الحضارات الفارسية والمصرية القديمة؟ أولم تعرف الثقافة العربية الإسلامية إنتعاشة قوية بفضل ترجمة التراث الهندي والفارسي واليوناني القديم؟ أو لم تستفيق أوروبا القرن الخامس عشر من سباتها بعد ترجمة التراث الأندلسي الوافد من الغرب الإسلامي وكنوز المعرفة الوافدة من بيزنطا الأفلة؟.

بكل تأكيد كانت الترجمة على مر العصور والأزمنة مقياس كل تطور وتقدم وازدهار، بل وأساس دخول العالمية من بابها الواسع ف «عندما تقوم الترجمة بنقل مفاهيم ثقافة من الثقافات وعلومها وتقنياتها إلى ثقافة أخرى فإنها تهيب الأرضية لتلاقح الثقافة المتلقية بغيرها ومن ثم نموها وازدهارها واغتنائها..»⁴⁰، وهذا ما يؤكد الواقع وتثبته الحقائق والتجارب الإنسانية عبر الزمان

³⁸ Abdesslam Benabdelali, *de la traduction. traduit par kamal Toumi. introduction revue par abedl fattah kilito*, 1 ط (publié dans la collection connaissance philosophique, 2006), 96-97.

³⁹ أحمد صالح الطامي، من الترجمة إلى التأثير دراسات في الأدب المقارن، ط. ١ (الرباط: دار الأمان، ٢٠١٣)، 14.

⁴⁰ القاسمي، "أثر الترجمة في معرفة الآخر وإدراك الذات"، 82.

والمكان من « أن البلدان التي تترجم أكثر، هي التي تحقق تقدماً أكبر، وأغنى عصور الفكر هي تلك التي تزدهر فيها الترجمة وتتوسع، بل اللغة التي تترجم إليها أكبر عدد من الأعمال من مختلف اللغات ».⁴¹

لقد لعبت الترجمة وتلعب دوراً مهماً في التقريب بين الأمم والشعوب من خلال إسهامها الفعال في هجرة الأفكار والأساليب والمناهج، لذلك « لجأ إليها الإنسان القديم ليحقق الاتصال بغيره وليوسعه ويوثقه ما أمكن، وبذلك كانت لها بواعث تجارية واقتصادية وثقافية وعلمية وفكرية هدفت إلى إزالة الحدود بين الحضارات وهدم الفوارق بين المجتمعات ونصبت الجسور بين الثقافات »،⁴² لذا، فإن الأمم التي بادرت إلى ترجمة ما لدى غيرها من الأمم القديمة من آداب وعلوم وفنون إيماناً منها بأن الترجمة وسيط حضاري وبوابة يتم عبرها الاتصال بين الشعوب المختلفة، هي الأمم التي ارتقت حضارياً، فقد « جاءت الترجمة لتفتح أبواب الزمن وتعيد إلى الحاضر أمجاد ماضٍ ازدهر بتلك الفنون والأحداث، والأخبار والأفكار والعلوم والفلسفة والعقائد، والحكمة والرؤى والصراعات، حاضرة كاملة غطت آلاف السنين غدت بالترجمة كتاباً مفتوحاً أزيلت عنه كل السدود والحواجز ».⁴³

إن الترجمة وسيلة أساسية ومهمة في خلق التفاعل والتلاقح والحوار بين الثقافات المختلفة من حيث اللغات والثقافات المتباعدة من حيث الأقطار، إنها بحق « ضرورة حضارية ونشاط فكري وعملية لغوية، يحتمها الاحتكاك بين شعوب ذات ألسنة متباينة، سواء أكان هذا الاحتكاك مقصوداً

⁴¹ القاسمي، 82.

⁴² عبد الوهاب التازي سعود، دور الترجمة في مواجهة التحديات ضمن الترجمة والتلاقح الثقافي، أبحاث وأعلام ٦ (بيت آل ممد عزيز الحبابي للثقافة والنشر، ١٩٩٨)، 115.

⁴³ فخري لبيب، "الترجمة ضرورة حضارية"، في الترجمة وتفاعل الثقافات، سلسلة أبحاث المؤتمرات ١٥، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، ٢٠٠٤)،

لذاته أو حاصلًا عرضًا، وسواء أكان مباشرًا كما في الحروب والهجرات والاستعمار أو غير مباشر كذلك الذي يتم عبر وسائل الإعلام والاتصال».⁴⁴

لذا، وجب التأكيد على أهمية وضروة النهوض بالترجمة وإيلائها العناية التي تستحق، إذ «تتطلب ترقية الترجمة وتحويلها من مجرد عملية لغوية شكلية إلى عملية حضارية عوامل ووسائل يجب السعي إلى إيجادها بوعي وإدراك مسبقين، لكي تكون هذه الترجمة مؤثرة في تأويل المعرفة المنقولة وتأصيلها وتيسير الهجرة الحقيقية للأفكار والمناهج والأساليب إلى المجتمع المتلقي».⁴⁵

الترجمة . إذا . وسيلة جوهرية للتعرف على الآخر المختلف، انطلاقًا من معرفة تاريخه وفلسفته وعاداته وتقاليده، بل تراثه وديانته وأدابه وفنونه، مادام هذا الآخر ثقافة متكاملة.

ويتطلب تحقيق التواصل مع هذا الآخر والتعرف عليه ما يلي:

. إن التعرف على اللغات المختلفة وترجمتها هو فتح للأبواب المغلقة وانفتاح على الآخر .
. لا يتحقق الحوار مع الآخر إلا بالتعرف عليه وفهمه، وذلك لا يتم إلا من خلال ما كتبه عن نفسه أو لنفسه.

. إن ترجمة ثقافتنا إلى لغات الآخرين هو بمثابة تقديم عظيم في ثقافة الآخرين.
. إن تعرفنا على الآخر وتعرفه علينا من خلال الترجمة، إنما هو أداة حضارية للغاية، لتحقيق حوار عقلائي متبادل يقوم على الفهم الصحيح هنا وهناك.
. إن الحوار بلا معرفة أشبه بحديث الطرشان لا أحد يفهم الآخر بل ربما يسيء فهمه. إن الترجمة وسيلة ضرورية لحوار الثقافات وتفاعلها والأخذ والعطاء الجيد، إنها تحيل المجهول إلى

⁴⁴ القاسمي، "إعادة ترجمة الأعمال الأدبية"، 33.

⁴⁵ القاسمي، 33.

معروف ، إذ « هي بوابة المعرفة بالغير فإذا كانت معرفة الآخر ضرورية، فإنها تصبح أكثر ضرورية خاصة إذا كان هذا الآخر عدوا». ⁴⁶

من هنا تصبح الترجمة جسرا تعبر من خلاله الثقافات إلى باقي المجتمعات الأخرى دون جواز، حيث يلعب دورا كبيرا في خلق الحوار وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات من أجل خلق التزاوج بينها لإيجاد أدب عالمي مشترك. «مادامت الحضارات العالمية حصيلة جهد إنساني مشترك، أسهمت فيه جميع الشعوب، واضطلعت فيه الترجمة بدور الوسيط الفاعل المؤثر في التعارف والتعاون بين مختلف الجماعات البشرية، وتخصيب معارفها وتلاقحها». ⁴⁷

إذ « بالترجمة تمكنت الأفكار من التحليق في عوالم جديدة، وكتب لها البقاء والانتشار والنماء، وبالترجمة استطاعت شعوب كثيرة أن تواكب تطور المعرفة وتقف على عتبة الحداثة وتحقق تقدمها ورفاهيتها وبالترجمة نقدر أن نعرف الآخر وندرك الذات ونقيم حوارا ينهي التنزع ويؤسس سلاما يعم الجميع». ⁴⁸

لا يمكن الحديث . إذا . عن أي تقدم وتطور وازدهار وبناء حضارة ما لم يكن هناك انفتاح وأخذ وعطاء، لذا كانت الترجمة أس الحضارة بامتياز، فعندما « نقول إن الترجمة واقع محفز ودافع لبناء الحضارة، فتلك برسلونة وليون وطليلطة مازالت مكتباتها التاريخية شاخصة حيث أسس رئيس أساقفتها فيها مكاتب كبيرة للترجمة والنقل من العربية إلى اللاتينية ليقول لعموم شعبه، من "هنا ستنطلق الحضارة"، وهو يعني بذلك من الترجمة لأنها تحوي أمهات العلوم وما يحتاجه المرء

⁴⁶ لبيب، "الترجمة ضرورة حضارية"، 722.

⁴⁷ القاسمي، "أثر الترجمة في معرفة الآخر وإدراك الذات"، 91.

⁴⁸ القاسمي، 91.

للنهوض».⁴⁹ بل والأكثر من كل هذا لم يتوان الأساقفة آنذاك عن « ترجمة القرآن إلى اللاتينية التي أجادها رديرن الشستري ناهيك عن ترجمة العلوم الفلكية، والرياضية والكيميائية والطب».⁵⁰

خلاصة القول إن الترجمة أداة توصيل بين الشعوب المختلفة والألسنة والأقطار المتباعدة الأمكنة، انطلاقاً من إسهامها الفعال في ترويح الفكر الإنساني عبر نقله إلى لغات غير لغته، ثم إنها ليست مجرد فعل لغوي يختصر في مجرد نقل النصوص، بل هي أيضاً فعل معرفي وثقافي وفكري وحضاري هدفه المصالحة مع الذات والتقريب بين الشعوب والتعايش فيما بينها، إنها باختصار أساس كل انطلاقة حقيقية ومفتاح الدخول إلى ثقافة العصر، ثقافة التقارب والتعايش وولوج العالمية من باب أوسع.

خلاصات

تعد الترجمة نافذة مهمة لانتقال النصوص الإبداعية، وضمانا لاستمرارها وبقائها وخلودها، إنها تسهم في خلق وعي ثقافي وحواري من خلال نشر كنوز المعرفة. ضرورة الابتعاد ما أمكن عن الترجمة الحرفية، مع الحرص على ضبط التوازن والتفاعل بين النص المنطلق والنص الهدف، لذا تحتاج ترجمة النصوص الإبداعية إلى مترجم مبدع قادر على قهر المسافة بين النص المصدر وترجمته. تحظى النصوص الأكثر إبداعية بأهمية خاصة، كما تمتاز بسرعة الانتقال بين الثقافات وتجاوز الحدود الزمانية والمكانية.

تساهم الأجناس الأدبية في خلق الحوار بين الثقافات والحضارات، حيث إن عملية التأثير والتأثر -مثلاً- بين الآداب الغربية والآداب العربي أدت إلى ظهور وترسيخ أجناس لم تكن معروفة لدى

⁴⁹ هيثم الناهي، "الترجمة ودورها الحضاري"، مجلة العربية والترجمة للمنظمة العربية للترجمة 3، عدد 11 (خريف 2012): 6.

⁵⁰ الناهي، 8.

الطرفين. تعمل الترجمة الأدبية على نقل الأمزجة والعقليات والعبقریات وألوان من الروابط والعلاقات القائمة بين مختلف الأحاسيس والأفكار.

المراجع

- ‘Ālī (al-), ‘Abdul Salām Bana‘bad, *Fī al-Tarjamah, Silsilah Syarū’*, Ed. XXXX, 1998.
- ‘Allūsy, Sa‘īd, *Isykāliyah al-Tayyārāt wa al-Ta’tsīrāt al-Adabiyah fī al-Waṭan al-‘Arabī: Dirāsah Muqāranah I*, (Al-Dār al-Baiḍā’, 1986)
- Benabdelali, Abdesslam, *de la Traduction, traduit par kamal Toumi, introduction revue par abedl fattah kilito*, publié dans la collection connaissance philosophique, 2006.
- Būṭīb, ‘Abdul ‘Ālī, “Al-Tarjamah al-Adabiyah baina al-Ibdā’ wa al-Ittibā’”, dalam *Majallah Dafātir Tsaqāfah li Kulliyah al-Ādāb wa al-‘Ulūm al-Insāniyah*, Ed. II, Fess: 2013
- Fromm, Erick, *Hiwār al-Tsaqāfāt wa al-Naz‘ah al-Insāniyah*, terj. ke dalam bahasa Arab oleh Ḥamīd Lasyhab, 2007.
- Ghaidīr, Matthew, “Al-Tawāṣul Muta‘addid al-Lughāt” Terj. Muṣṭafā Tajjīnī, dalam *Al-Majallah al-Magribiyah li Dirāsāt al-Tarjamah*, Wajdah: Markaz al-Dirāsāt wa al-Buḥūts al-Insāniyah wa al-Ijtimā‘iyah, Ed. I, 2013.
- Gentesler, Edwin, *Fī Naẓariyah al-Tarjamah, Ittijāhāt Mu‘āṣirah*, terj. ke dalam bahasa Arab oleh Sa‘d ‘Abdul ‘Azīz Maṣlūḥ, (Beirut: al-Munazzamah al-‘Arabiyah li al-Tarjamah, 2007)
- Ḥabbābī (al-), *Muḥammad ‘Azīz, Al-Tarjamah wa al-Talāquḥ al-Tsaqāfi, Abḥāts wa A‘lām VI*, (Tamara: Bait āli Muḥammad ‘Azīz al-Ḥabbābī li al-Tsaqāfah wa al-Nasyr, 1998)
- Ḥamzah, Ḥasan, “Al-Tarjamah Fahmun wa Ifhāmun wa Naqlun baina al-Tsaqāfāt”, dalam *Majallah al-‘Arabiyah wa al-Tarjamah*, Ed. V, 2011.
- Ibnu Manzūr, *Lisān al-‘Arab*, (Beirut: Dār Ṣādir, 2003), Cet. III, Jilid II.
- Ibrāhīm, Samīr ‘Abdul Ḥamīd, *Qaḍāyā Tarjamah al-Naṣṣ al-Ibdā’, Ḍimna Alāmāt fī al-Naqd*, (Jedah: al-Nādī al-Adabī al-Tsaqāfi, t.th)
- Kaddiyah (al-), al-Jalālī, “Al-Tarjamah baina al-Ta‘wīl wa al-Talaqqī”, dalam *Al-Tarjamah wa al-Ta‘wīl*, Publikasi Fakultas Adab, 1995.
- Kassān (al-), Jān, “Al-Tarjamah al-Adabiyah wa al-Tanmiyah al-Tsaqāfiyah”, dalam *Majallah al-Wahdah li al-Majlis al-Qaumī li al-Tsaqāfah al-‘Arabiyah*, Ed. VI, Vol. 61-62, 1989.
- Kīlītū, ‘Adul Fattāḥ, *Ḍiyāfah al-Ghaṇb*, terj. Kamāl al-Tūmī, (Dār Tūbqāl li al-Nasyr, 2015)

- Labīb, Fakhri, “al-Tarjamah Darūratun Ḥaḍāriyah”, dalam *Fī al-Tarjamah wa Tafā’ul al-Tsaqāfāt, Silsilah Abḥāts al-Mu’tamarāt XV*, (Kairo: al-Majlis al-A’lā li al-Tsaqāfāt, 2004)
- Laḥmadānī, Ḥamīd, *Al-Tarjamah al-Adabiyah al-Taḥlīliyah, Tarjamah Syi’r De Blair Namūdzajan*, (t.t.: Waḥdah al-Naqd al-Adabī al-Ḥadīts wa al-Mu’āšir, 2005)
- Ma’rūf, Murtaḍā Ghāzī Sayyid, *Tarjamah al-Ibdā’ wa Isykāliyah al-Lughah al-Wasaṭiyah: ‘Alāmāt fī al-Naqd*, (Jedah: al-Nādī al-Adabī al-Tsaqāfī, 2003)
- Nāhī (al-), Haitsam, “Al-Tarjamah wa Dauruhā al-Ḥaḍārī”, dalam *Majallah al-‘Arabiyah wa al-Tarjamah li al-Munazzamah al-‘Arabiyah li al-Tarjamah*, Ed. III, Vol 11, 2012
- Qāsī (al-), ‘Alī, *Atsar al-Tarjamah fī Ma’rifah al-Ākhar wa Idrūk al-Dzāt*, Majallah Tarjamiyāt al-Sanah al-Ūlā, Ed. II (Mei-Juli 2006)
- , *I’ādah Tarjamah al-A’māl al-Adabiyah Fī Mumārasah al-Tarjamah*, (t.t.: Dār al-Farqad, 2013)
- Sabīl (al-), ‘Abdul ‘Azīz, *al-Tsaqāfāt abara al-Tarjamah: al-Qiṣṣah al-Qaṣīrah Namūdzajan ḍimna ‘Alāmāt fī al-Naqd*, (Jedah: al-Nādī al-Tsaqāfī, 2003)
- Su’ūd, ‘Abdul Wahhāb al-Tāzī, *Daur al-Tarjamah fī Muwājahah al-Taḥaddiyāt ḍimna al-Tarjamah wa al-Talāquḥ al-Tsaqāfī, Abḥāts wa A’lām VI*, (Bait Āl Muḥammad ‘Azīz al-Ḥabbābī li al-Tsaqāfah wa al-Nasyr, 1998).
- Syā’ūl, Poul, “Al-Tarjamah min al-Tafā’ul ilā al-Fi’l al-Tsaqāfī”, dalam *al-Tarjamah wa al-Tafā’ul al-Tsaqāfī, Silsilah Abḥāts al-Mu’tamarāt wa al-Majlis al-A’lā li al-Tsaqāfāt*, (Kairo: Ḥalaqah Baḥsiyah, 2004).
- Syannāf, Syarrāf, “Al-Tarjamah al-Adabiyah wa Sulṭah al-Ansāq al-Tsaqāfiyah: Qirā’ah Antrūbūlujiyah Ma’rafiyah”, dalam *Majallah al-‘Arabiyah wa al-Tarjamah li al-Munazzamah al-‘Arabiyah li al-Tarjamah*, ed. VI, Vol. 20, 2015.
- Ṭāmī (al-), Aḥmad Šāliḥ, *Min al-Tarjamah ilā al-Ta’tsīr: Dirāsah fī al-Adab al-Muqāran*, (Rabat: Dār al-Amān, 2013), Cet. I.
- Tūnīsī, Īmān Sa’īd, *Al-Tarjamah al-Masraḥiyah (Wāqi’uhā wa Āfūquhā): ‘Alāmāt fī al-Naqd*, Jedah: al-Nādī al-Adabī al-Tsaqāfī, 2003